طول الأمل

حديثنا اليوم عن خلق ذميم ووصف قبيح، يُقعِدُ صاحبه عن العمل، ويُنسيه الأجل، يَعيش في الدنيا تائها بين أوهام لا حقيقة لها، وأمان لا نهاية لها، إنه طول الأمل؛ ذلكم الداء العضال الذي أهدِرَت بسببه الأوقات، وضاعتْ بسببه الأعمال، وخسرَ بسببه كثير من الناس...

مفهوم طول الأمل:

طول الأمل :هو دوام الحرص على الدّنيا، مع الإعراض عن الآخرة.

أما مجرد الأمل والنظر إلى المستقبل بنظرة التفاؤل، دون الغفلة عن الآخرة، فهذا أمر مشروع ومعقول

لكنّ المذموم من الأمل هو طول الأمل، الذي يجعل الإنسان متعلقا بدنياه عبْدا لها منشغلا بها، ناسيا للموت، غافلا عن الدار الآخرة.

وأعجبُ ما في طول الأمل أنّه ينمُو ويكبُرُ مع الأيّام! كلما كبر المرء ازدادت آماله وتعددت أمانيه...

الأدلة الواردة في «طول الأمل»

١- قال تعالى: وهذا ما حذر منه ربنا سبحانه وتعالى، وأخبر أنه صفة مَنْ لا خَلاقَ له ولا دِين، فقال عز وجل :﴿ وَلَتجدَنَّهُمْ أحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَمِنَ الذينَ أَشْرَكُوا يَوَدّ أحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦]. فليست النجاة بطول العمر، وانما النجاة بحسن العمل.

٢- قال تعالى: { رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)} [الحجر: ٢، ٣]

(ربما) أي يود الكفار وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير

وقد حاول بعض المفسرين الجمع بين القولين فقال: من قال بأن رُبَما هنا للتكثير نظر إلى كثرة تمنيهم أن لو كانوا مؤمنين، ومن قال بأنها للتقليل نظر إلى قلة زمان إفاقتهم من العذاب بالنسبة إلى زمان دهشتهم منه، وهذا لا ينافي أن التمني يقع كثيرا منهم في زمن إفاقتهم القليل، فلا تخالف بين القولين.

(ذرهم) أي ارتكهم في غيهم وضلالهم وانشغالهم بالدنيا ولا تأسف عليهم فأمثال من هذا شأنه أنه لا ينتفع بنصح ولا وعظ.

@ روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطولِ الأَمَلِ."

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: »هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو: قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا». وفي رواية قال: «هذا الأمل وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب». أي جاءه أجله قبل أن يحقق أمله.

* (دخل رجل على أبي ذرّ الغفاريّ- رضي الله تعالى عنه- فجعل يقلّب بصره في بيته فقال: يا أبا ذرّ! أين متاعكم؟ فقال: إنّ لنا بيتا نتوجّه إليه، فقال: «إنّه لا بدّ لك من متاع ما دمت هاهنا» ، فقال: «إنّ صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا»

ودخلوا على بعض الصالحين، فقلبوا بصرهم في بيته، فقالوا له: إنَّا نرى بيتَك بيتَ رجلٍ مرتحلٍ، فقال: أمرتحلٌ؟ لا، ولكن أُطْرَدُ طرداً.

* (قال سلمان الفارسيّ- رضي الله عنه- ثلاث أعجبتني حتّى أضحكتني: مؤمّل الدّنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط ربّ العالمين عليه أم راض؟)

وكان عليُّ بنُ أبي طالب - رضي الله عنه - يقول: إنَّ الدُّنيا قدِ ارتحلت مدبرةً، وإنَّ الآخرة قدِ ارتحلت مقبلةً، ولكُلٍّ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل.

قال الحسن: اجتمع ثلاثةٌ من العلماء، فقالوا لأحدهم: ما أَمَلُكَ؟ قال: ما أتى عليَّ شهرٌ إلا ظننتُ أنِّي سأموتُ فيه، قال: فقال صاحباه: إنَّ هذا لأمل، فقالا لأحدهم: فما أَمَلُكَ؟ قال: ما أتت عليَّ جمعة إلا ظننتُ أنِّي سأموتُ فيها، قال: فقال صاحباه: إنَّ هذا لأمل، فقالا للآخر: فما أملُك؟ قال: ما أَمَلُ من نفسُه في يد غيره ؟

وكان حبيبٌ أبو محمد يُوصي كُلَّ يومٍ بما يوصي به المحتضِرُ عند موته من تغسيله ونحوه، وكان يبكي كلَّما أصبح أو أمسى، فسُئِلَت امرأته عن بكائه، فقالت: يخاف - والله - إذا أمسى أنْ لا يُصبح، وإذا أصبح أنْ لا يُمسي.

وكان محمد بن واسع إذا أراد أنْ ينام قال لأهله: أستودعكم الله، فلعلَّها أنْ تكون منيتي التي لا أقوم منها فكان هذا دأبه إذا أراد النوم.

مضارّ طول الأمل ومخاطرُه:

طول الأمل داء عُضال، ومرض فتاك، يُفسِد القلب، ويتلف الوقت، ويَعرُج بالمرء إلى عالم الخيال والأوهام... مضارّه كثيرة، ومخاطرُه عديدة.

- أول حيلة اتخذها لإغواء الإنسان وإيقاعه في المعصية..

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى ﴾ [طه: ١٢٠]. وفي آية أخرى :﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ *وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ *فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾]الأعراف: ٢٠ - ٢٢...]

وكم من الناس أغواهم الشيطان بطول الأمل فصدّهم عن السبيل وأوقعهم في الضلالة؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ الذِينَ ارْتَدّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٥]. قال الحسن البصري رحمه الله: "أي زيَّن لهم الشيطانُ الخطايا، ومدَّ لهم في الأمل".

- طول الأمل من أسباب الشقاء والهلاك؛ لذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من عواقبه، فيما رواه الطبرانيّ وابن أبي الدّنيا بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله

عنه عَنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نَجَا أَوَّلُ هَذِهِ الأمَّةِ باليَقِينِ وَالزُهْدِ، وَيَهْلِكُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بالبُخْلِ وَالأمَلِ.«

(١) نسيان الآخرة وما أعدّ الله فيها من النّعيم المقيم لأهل طاعته ومن العذاب الأليم لأهل المعاصي.

(٢) قلّة الصّبر عن الشّهوات، وشدّة الغفلة عن الطّاعات.

(٣) إنّ طول الأمل يجلب السّعادة الظّاهرة في الدّنيا ويسقي صاحبه كؤوسا مترعة من اللّذّة الفانية.

(٤) يقسي القلب ويجفّ دمع العين، ويزيد في شدّة الحرص على الدّنيا.

(٥) يدفع إلى المعاصي، ويبعد عن الطّاعات.

- (٦) به يتعدّى على الآخرين فيسلب الحقوق، وينتهك الحرمات.

<u>علاج طول الأمل:</u>

أولا: تذكرْ أنك راحل؛ حقيقة لا يجهلها أحد، ولا يُماري فيها أحد، لكنّ كثيرا من الناس عنها غافلون ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الذِي تَفِرّونَ مِنْهُ فإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾]الجمعة: ٨.[

ثانيا: عليك بزيارة المقابر؛ لترى فيها أناسا كنت تعرفهم، كانت لهم من الآمال والأماني مثلُ ما لك الآن، لكن الموت أخذهم بغتة، وفاجأهم من غير استئذان، وحال بينهم وبين أمانيهم وآمالهم...

عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القبُورِ، فزُورُوهَا؛ فإنها تذكركم الآخرة».

ثالثا: لا تعلق قلبك بما هو فان وزائل؛ فالدنيا إلى زوال، الدنيا إلى فناء، لا قرار فيها، ولا خلود فيها.. إنما القرار والخلود في الدار الآخرة .قال الله تعالى مبيّنا حقيقة هذه الدنيا :قال عز وجل :﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾]الحديد: ٢٠.[

وصايا نبوية:

*(عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمنكبي فقال: «كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل» . وكان ابن عمر يقول:«إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء. وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»).

*(عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك. وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»